الدلالة القرآنيّة بين منهجي التفسيرِ البيانيّ والبنائيّ
سورة الضحى مثالاً

The Qur'anic Connotation between the Rhetorical and Structural Interpretation Methodologies:
Surat Adh-Duha as an Example

م.م. أحمد جاسم ثاني
lect. Ahmed Jassim Thani

العراق/ جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميّة
University of Basra/College of Education for Human Sciences
Department of Quranic Sciences and Islamic Education

ahmedjth@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحْث:

في هذا البحث نسلّط الضوء على الدلالة القرآنيّة من منظور منهجي التفسير البيانيّ والبنائيّ، وهما منهجأن يقعان ضمن اتجاه تفسيري واحد وهو الاتجاه الأدبيّ للتفسير، مع التطبيق على جزء من تفسير سورة الضحى، فتناول البحث في محوره الأول التعريف بالمصطلحات التي شكّلت عنوانه، وهي: الدلالة القرآنيّة، والمنهج والتفسير، ثم يعرّج على منهجي التفسير البيانيّ والبنائيّ ويعرض لأصولهما وقواعدهما ويقارن بينهما، كما يذكر أبرز روّاد هذين المنهجين من المفسّرين والباحثين بشكل موجز.

أمّا المحور الثاني فيمثل الجانب التطبيقي للبحث، إذ يقف عند تحليل شيء من سورة الضحى بشكلٍ مقتضب وتفسيرها في ضوء المنهجين والمقارنة بين الدلالات التي يتوصل إليها كلّ منهج منهما.

الكلمات المفتاحية: علم الدلالة، التفسير، المنهج البيانيّ، المنهج البنائيّ.

Abstract :

It is going to be focused in this research on the Qur'anic connotation in terms of the perspective of the two methodologies of interpretation; rhetorical and structural. These two methodologies lie within one interpretational direction which is the literary orientation of the interpretation with applying it on a part of Surah Ad-Dhuha.

So, the first part of the research included the definitions of the terms that formed the title. And among these terms are the Qur'anic connotation, the methodology, the exegesis. Then, the rhetorical and structural methodologies of interpretation are explained, and their origins and rules are clarified with making a comparison between them. The most prominent pioneers of these two methodologies such as the exegetes and the researchers are briefly mentioned as well.

The second section represents the practical part of the research, as it explains briefly the analysis of part of Surat Ad-Dhuha and interprets it in light of the two abovementioned methodologies, and compares between the connotations that each approach reaches.

Keywords: semantics, exegesis, rhetorical methodology, structural methodology.

المقدمة:

لقد تعدّدت مناهج المفسّرين وتنوّعت بتعدّد اتجاهاتهم واهتماماتهم الفكريّة والمعرفية، ومنذ عصر نزول القرآن الكريم بدأ رسول الله ﷺ بتوضيح آياته وتفسيرها لمن حوله من المسلمين، ببيان مفردة أو مقطع من آية أو تفسير آية أو سورة كاملة بحسب ما يتطلبه الموقف، وقد واصل أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله ﷺ هذا الطريق، إذ كانوا هم عدل القرآن وتراجمة الوحي، واستمر الصحابة والتابعون بتوضيح القرآن وتفسيره، وذلك لنشر تعاليمه وتبيان أحكامه للناس، وقد انتهج كلّ منهم المنهج الذي يتلاءم مع توجهه الفكريّ، فظهرت مناهج عدّة كان أبرزها منهج التفسير بالمأثور الذي يعتمد في فهم القرآن وتفسيره على الأحاديث والروايات المنقولة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، كما ظهر منهج التفسير بالرأي الذي منعته النصوص الشرعية، ثم تلته مناهج واتّجاهات أخرى، كمنهج تفسير القرآن بالقرآن، والمنهج العقلي والمنهج الفلسفيّ والمنهج الفقهي ... إلخ، ومن اتجاهات التفسير التي برزت في العصور المتأخرة واهتمت بلغة القرآن وبلاغته الاتّجاه الأدبيّ في التفسير أو ما سُمي بمنهج التفسير الأدبيّ ، ثم ظهرت عدّة تفاسير طبّقت هذا المنهج، منها تفسير (في ظلال القرآن) وكتاب (التصوير الفني في القرآن) لسيد قطب، ولم يتبلور هذا المنهج بشكلٍ واضح المعالم إلا على يد الشيخ أمين الخولي، وفيما بعد قامت تلميذته الدكتورة عائشة عبد الرحمن بتحديد معالمه وتأصيل أسسه، فأصبح المنهج البيانيّ، فدوّنت قواعده في كتابها (التفسير البيانيّ للقرآن الكريم) وطبّقت هذا المنهج على عدّة سور قرآنية، فصار هذا المؤلَّف أبرز مرجع لكلّ باحث في هذا المنهج، وبعد صدور هذا الكتاب ظهرت عدّة دراسات أدبية وبلاغيّة للنص القرآنيّ، ومن أبرزها دراسات الدكتور (فاضل السامرائي) التي تنوّعت وتعدّدت وركّزت على الجانب

اللغويّ والبلاغيّ والملحظ الأسلوبي في فهم القرآن، ثم أنتجت هذه الدراسات تفسيراً بعنوان: (على طريق التفسير البيانيّ) الذي ابتدأه بمقدمة نظرية مهمة لمنهجه في التفسير، وقد صدر منه إلى وقتنا أربعة أجزاء.

ومن جانب أدبي آخر انطلق الدكتور (محمود البستاني) ليؤسس منهجًا جديدًا يقوم على الفهم الكليّ أو الفهم النصيّ للقرآن وينظر إلى البناء الكامل للسورة بوصفها وحدةً موضوعيةً مترابطة الأجزاء، وهذا المنهج هو منهج التفسير البنائيّ، الذي طبَّقه فيما بعد على تفسير القرآن بشكلٍ كامل وسمَّى تفسيره هذا بـ (التفسير البنائيّ للقرآن الكريم) وهو مؤلَّف من خمسة أجزاء، وسبقته دراسات قرآنية متنوعة للمؤلف، كلّها تقوم على هذا النمط وهذا المنهج.

وفي هذا البحث نسلّط الضوء على الدلالة القرآنيّة من منظور هذين المنهجين الأدبيّين، ثم نأخذ مثالاً للدراسة وهو تفسير (سورة الضحى)، وذلك لكونها من السور المشتركة في التفسير عند المفسّرين الذين خصّهم البحث بالدراسة، وهم كلّ من (الدكتورة عائشة عبد الرحمن، والدكتور فاضل السامرائي اللذين يمثلان المنهج البيانيّ، والدكتور محمود البستاني الذي يمثّل المنهج البنائيّ)، فتناول البحث أولاً التعريف بالدلالة القرآنيّة، والمنهج والتفسير بشكلٍ عام من جهة اللغة والاصطلاح، ومحورين: الأول يتحدّث عن منهجي التفسير البيانيّ والبنائيّ بشكلٍ خاص ويعرض لأصولهما وقواعدهما ويقارن بينهما، كما يذكر أبرز روّاد هذين المنهجين من المفسّرين والباحثين. وأمّا المحور الثاني فيمثّله الجانب التطبيقي للبحث، إذ يقف عند تحليل (سورة الضحى) وتفسيرها في ضوء المنهجين والمقارنة بين الدلالات التي يتوصّل إليها كلّ منهج.

مصطلحات البحث

الدلالة لغةً: هي مِنْ «دلَّ» أو «دَلَلَ»، تقول: دلَّ عليه، وإليه دِلالة (بفتح الدال وكسرها وضمها): أي أرشد، ويُقال: دلَّه على الطريق: أي سدَّده إليه، فهو دالٌّ والمفعول مدلولٌ عليه وإليه. و«الدلالة»: الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، والجمع دلائل ودلالات[1].

والدلالة اصطلاحاً: ((هي كون الشيء بحالةٍ يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول ...))[2].

يقول الراغب الأصفهاني في تعريف الدلالة: ((الدلالة ما يُتوصَّل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصدٍ ممّن يجعله دلالة أو لم يكن بقصدٍ ... أصل الدلالة مصدر كالكناية والأمارة))[3].

أمّا تعريف (علم الدلالة): فهو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى[4]. ومجال علم الدلالة – بشكل مختصر– هو ما يتعلّق بمعاني الكلمات استعمالاً في التواصل، وما يتفرع عنه من مجالات علمية على صعيدي المفردات والتراكيب[5].

«**المنهج**» **لغةً**: من نَهَجَ الطريق نهجاً، بمعنى وضح واستبان، و(المِنْهَجُ) بفتح الميم وكسرها، بمعنى المنهاج، وجمعها (مناهج)[6]. وقد وردت في القرآن الكريم بلفظة (المنهاج)، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨).

«**التفسير**» **لغةً**: من فَسَرَ الشيء فَسْراً، بمعنى وضحَهُ، و(التفسير)، بمعنى الشرح والبيان[7].

وتفسير القرآن: ((من العلوم الإسلاميّة، يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحِكَم، وأحكام))[٨].

ويعرّف **منهج التفسير** بأنّه: ((الطريقة التي يسلكها مفسّر كتاب الله عزّ وجل، على وفق خطوات مرتبة يسير عليها للوصول إلى تحقيق تفسير الكتاب وفقاً لمجموعة من الأفكار يعنى بتطبيقها، وإبرازها من خلال تفسيره))[٩].

منهج التفسير البيانيّ

يعرّف منهج التفسير البيانيّ بأنّه ((التفسير الذي يبيِّن أسرار التركيب في التعبير القرآنيّ،فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بأحوال التعبير))[١٠].

أو هو ((تفسير بلاغيّ يركّز على دقة اختيار القرآن الكريم الكلمة من دون غيرها ضمن السياق الخاص (الجملة)، وعلى دقة اختياره لجملة دون غيرها ضمن السياق العام (السورة)، ويحاول استجلاء الرهافة في التعبير ومكمن الهدف المقصود، والايحاء الذي تشعُّ به تلك الكلمة أو الجملة ضمن السياق الذي وردت فيه، وعدم قدرة كلمات أو جمل أخرى غيرها اقتناص ذاك الايحاء التعبيري الكاشف))[١١].

وقد وصف المحقق جعفر السبحاني هذا المنهج بقوله: ((ولا شكّ أنّه نمط بديع بين التفاسير، إذ لا يماثل شيئاً ممّا أُلّف في القرون الماضية من زمن الطبري إلى العصر الأخير الذي عرف فيه تفسير الإمام عبده وتفسير المراغي، فهذا النمط لا يشابه التفاسير السابقة، غير أنّه لون من التفسير الموضوعي أولاً، وتفسير القرآن بالقرآن ثانياً، والنقطة البارزة في هذا النمط هو استقراء اللفظ القرآنيّ في كلّ مواضع وروده في الكتاب. وبعبارة أخرى: يُعنى المفسّر في فهم لغة القرآن بالتتبع في جميع صيغ

هذا اللفظ الوارد في القرآن الكريم ثم يخرج من ضمّ بعض إلى بعض بحقيقة المعنى اللغويّ الأصيل، وهو لا يترك هذا العمل حتى في أوضح الألفاظ))[١٢].

قواعد المنهج البيانيّ

ويمكن أن نلخّص القواعد التي يقوم عليها هذا المنهج بما يأتي[١٣]:

١- ينطلق هذا المنهج من الفهم الموضوعي للقرآن الكريم، إذ يبدأ بجمع كلّ ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

٢- كما يعتني هذا المنهج في فهم ماحول النص، ويراد بما حول النص ترتيب الآيات بحسب النزول لمعرفة الظروف والأحوال التي نزلت فيها الآيات، كما يستأنس بروايات أسباب النزول علماً بأنّ العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.

٣- أمّا في فهم دلالات الألفاظ فمنهج التفسير البيانيّ يؤمن بأنّ العربيّة هي لغة القرآن، فيلتمس الدلالة اللغويّة الأصيلة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، ثم يستلخص الدلالة القرآنيّة باستقراء كلّ ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.

٤- وفي فهم أسرار التعبير القرآنيّ يحتكم هذا المنهج إلى سياق النص القرآنيّ ويعرض عليه أقوال المفسّرين فيقبل منها مايقبله النص، ويتحاشى ما أُقحم على كتب التفسير من المدسوس وشوائب الأهواء، وبدع التأويل.

٥- كما يحتكم إلى القرآن الكريم نفسه في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانيّة، ليعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيّين لا العكس، إذ يُعدّ هذا المنهج القرآن الكريم هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه وهو النصّ الموثوق الذي لم تشبه من أي سبيل أدنى شائبة ممّا تعرّضت له النصوص الفصحى من تحريفٍ أو وضع، ثم أنّه ليس بموضع الضرورة كالشواهد الشعرية، ليجوز عليه مايجوز عليها من تأويل.

نخلص من ذلك أنّ هذا المنهج ((هو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، ويؤخذ اللفظ والآية فيه، مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كله، ممّا لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنيّة لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانيّة))[١٤].

أدوات المفسّر البيانيّ

إن الذي يتصدّى للتفسير البيانيّ يحتاج إلى مايحتاج إليه أي مفسر، إلا أنّه بحاجة أكثر إلى التبحّر فيما يأتي[١٥]:

١- علوم اللغة العربيّة وهي علم اللغة وعلم التصريف وعلم النحو وعلوم البلاغة، فلا تغني المعرفة اليسيرة بل ينبغي للمفسّر البيانيّ أن يكون على اطّلاع واسع في هذه العلوم.

ورد في البرهان: ((وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفي في حقه تعلّم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين))[١٦].

وجاء في الإتقان أنّ المفسّر يحتاج إلى التبحّر في لسان العرب واللغة والنحو والتصريف[١٧].

٢- كما يحتاج المفسّر البيانيّ إلى علم القراءات التي في ضوئها يترجّح بعض الوجوه على بعض، فقد تدل القراءتان أو القراءات على كمال البلاغة وتمامها، فمن ذلك على سبيل المثال قراءة (مالك يوم الدين) وقراءة (ملك يوم الدين) فقد جمع له سبحانه وتعالى بالقراءتين الحكم والتملك؛ وذلك لأنّ (مالك) من التملك، و(الملك) هو الحكم الأعلى فجمع الله تعالى لنفسه كمال الأمرين، ولا يمكن أن يكون ذلك بقراءة واحدة، فنزلت مرتين بالقراءتين فجمعت المعنيين.

ولقد أشار ابن الجزري إلى فائدة اختلاف القراءات القرآنيّة بقوله:

((وأمّا فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك غير ما قدّمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كلّ قراءة بمنزلة الآية إذ كان تنوع اللفظ بكلمةٍ تقوم مقام آيات ولو جُعلت دلالة كلّ لفظ آية لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. ومنها ما في ذلك من عظيم البرهأن وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرّق إلية تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كلّ يصدّق بعضه بعضاً ويبيّن بعضه بعضاً ويشهد بعضه البعض على نمطٍ واحد وأسلوب واحد. وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق ما جاء به ﷺ))[١٨].

٣- ومن الدلائل المهمة على فهم المعنى القرآنيّ معرفة أسباب النزول، فيها تعرف الكثير من الأمور التي قد يصعب فهمها لولاها، ويقصد بأسباب النزول ((ذكر كلّ ما يتصل بنزول الآيات القرآنيّة (آية أو جزء منها أو عدّة آيات أو سور) من القضايا والحوادث، سواء في ذلك قضايا المكان أو حوادث الزمان، التي صاحبت نزول القرآن الكريم أو أعقبته))[١٩].

٤- ومن الأمور اللازمة للمفسّر البيانيّ النظر في السياق القرآنيّ، ففيه تتضح كثير من الأمور ويتّضح سبب اختيار لفظة على أخرى وتعبير على آخر ويتّضح سبب التقديم والتأخير والذكر والحذف ومعاني الألفاظ المشتركة، فهو من أهم القرائن التي تدل على المعنى القرآنيّ.

٥- مراجعة المواضع القرآنيّة التي ورد فيها التعبير مشابهاً للتعبير المراد تفسيره وتبيينه لاستخلاص المعنى المقصود.

٦- مراجعة المواضع القرآنيّة التي وردت فيها المفردة المراد تفسيرها مكررة واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها.

٧- معرفة خصوصيات الاستعمال القرآنيّ كاستعمال الريح للشر والرياح للخير والغيث للخير والمطر للشر والعيون لعيون الماء والصوم للصمت والصيام للعبادة المعروفة وغير ذلك.

٨- أن ينظر المفسّر البيانيّ إلى الوقف والابتداء وأثر ذلك في الدلالة والتوسع أو التقيد في المعنى وما إلى ذلك.

٩- أن يتنبأ إلى أي تغيّر في المفردة والعبارة وإن كان في نظره غير ذي بال فإنه ذو بال، فإنْ وجد تعليلاً وإلا فسيأتي من ييسر الله له تعليله وتفسيره، كالإبدال في المفردة نحو (يطّهر) و(يتطهّر) و(يذّكر) و(يتذكّر)، والذكر والحذف نحو (يستطع) و(يسطع)، وتغيّر الصيغة نحو (مغفرة) و(غفران) و(نخل) و(نخيل)، والإدغام والفك نحو (من يرتد) و(من يرتدد) وما إلى ذلك.

١٠- ومن أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار ويهديه إلى معانٍ جديدة وفهم القرآن الكريم هو إدامة التأمل والتدبّر، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالتدبّر في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد/ ٢٤)، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (محمد/ ٢٩).

ويتحدّث الدكتور (فاضل السامرائي) عن تجربته في تدبّر كتاب الله قائلاً: ((وكلما أمعنت في التدبّر فتح الله عليك من كنوز المعرفة وعجائب الأسرار مالم يكن منك على بال والتدبّر والتفكر في كتاب الله وأسرار تعبيره من ألزم الأمور للقارئ والمفسّر وهما للمفسّر ألزم فأدم التدبّر والتفكّر فيما استعصى أمره ولا تمل من ذلك، وافعل ذلك مرةً ومرتين وثلاثاً وأربعاً وعشراً وعاود ذلك فإنه سيفتح الله عليك ويبصرك مالم تبصره وقد مرّت بي مسائل لم اهتدِ إلى حلها على كثرة التدبّر والتأمل حتى كدت

أيأس من وصولي إلى حل لها فإذا بي وقد انقدح في ذهني ما يزيل الإشكال ويثلج الفؤاد))[٢٠].

١١- الاطّلاع على جملة من أشهر التفاسير القديمة والنظر في كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز وكتب المتشابه وتناسب الآيات والسور وما إلى ذلك ممّا كُتِبَ في أسرار التعبير القرآنيّ فإن فيها أسراراً بيانية وفنية بالغة الرفعة.

١٢- وأساس ذلك كله (الموهبة)، فإنها أساس كلّ علم وفن وصنعة، فبقدر ما أوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفن، ولا يمكن الاعتماد على الموهبة وحدها بل عليه أن ينميها ويصقلها بكثرة الاطّلاع والنظر والتدقيق والتأمل.

روّاد منهج التفسير البيانيّ

أولاً: الشيخ أمين الخولي (ت: ١٩٦٦م)

يُعد أمين الخولي أول من ابتكر منهج التفسير البيانيّ، وذلك في كتابه (**مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**) الذي أكملت مسيرته الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها الموسوم (**التفسير البيانيّ للقرآن الكريم**)[٢١].

وللشيخ الخولي رأي مميز في تفسير القرآن، فهو يدعو إلى تفسير القرآن الكريم نفسياً وأدبياً؛ لأنّه يُعدّه كتاب العربيّة الأكبر وأثرها الأدبيّ الأعظم، فهو الكتاب الذي خلّد العربيّة، وحمى كيانها، وخلُد معها، فصار فخرها وزينة تراثها[٢٢].

ثانياً: الدكتورة عائشة عبد الرحمن (ت: ١٩٩٨م)

تُعد الدكتورة (عائشة عبد الرحمن) من النساء المعاصرات اللائي أسهمن في الأدب العربيّ والفكر الاجتماعيّ، فهي تهتم في تفسيرها بالبيان العربيّ، وكما تذكر في مقدمة كتابها (التفسير البيانيّ للقرآن الكريم) أنّها اهتدت إلى هذه الطريقة لمعالجة مشكلاتنا في حياتنا الأدبيّة واللغويّة[٢٣]، وفي الوقت الذي يلبي فيه التفسير البيانّي كلّ

الأغراض التي تهدف إليها بنت الشاطئ إلا أنّ هذا المنهج قد يغفل جوانب القرآن المتعدّدة كالتشريعات والأحكام ومبادئ الحياة الإنسانية، إذ إنَّه يتخذ من النص القرآنيّ مادة للدراسة الأدبيّة كالنص الشعريّ أو النثريّ، ودراسة النصوص الأدبيّة تعتمد على الذوق اللغويّ الذي يتفاوت من شخص إلى آخر بتفاوت ثقافته[٢٤].

وهناك من الباحثين من يعزو هذا الفضل إلى سيد قطب بقوله: ((والحق يقال إن التفسير الأول الذي عني بإبراز الصور الجمالية في القرآن هو «في ظلال القرآن» على الرغم من وجود كتب أخرى حاولت استنباط هذه الصور وكشفها، وإبرازها إلى الوجود كتفسير «الكشاف» للزمخشري، و«دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني... وعلى المنوال ذاته حاول أمين الخولي أن يفسر القرآن، والسيدة الدكتورة (عائشة عبد الرحمن) المعروفة باسم «بنت الشاطئ» في كتابها «التفسير البيانيّ للقرآن الكريم»))[٢٥].

كما اعتنت (عائشة عبد الرحمن) بقضية الإعجاز القرآنيّ، وقد تحدّثت عنها قائلة: ((وقد شغلتني قضية الإعجاز البيانيّ دون أن أتجه إليه قصداً، فأثناء انشغالي بالتفسير البيانيّ والدراسات القرآنيّة، تجلّى لي من أسراره الباهرة ما لفتني إلى موقف العرب من المعجزة القرآنيّة في عصر المبعث، ووجهني إلى محاولة منهجية في فهم عجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، وقد تحداهم والعربيّة لغته ولغتهم والبيان طوع ألسنتهم، وهم بلا ريب قد أدركوا من أسرار إعجاز البيان ما أيأسهم من محاولة الإتيان بلفظ يقوم مقام اللفظ فيه، أو أن يأتوا بآية على غير الوجه الذي جاءت به في البيان المعجز))[٢٦].

ومن ثم ظهرت عدّة مؤلفات سارت على منهج الدكتورة (عائشة) نفسه ولكنها لم تُكتب لها الشهرة كما كتبت للماضين، ومن ذلك كتاب (دراسة أدبية لنصوص من القرآن) للأستاذ محمد المبارك، وكتاب (التفسير المنير) للدكتور وهبة الزحيلي وغيرها من المؤلفات[٢٧].

ثالثاً: الدكتور فاضل السامرائي (معاصر)

وهو أحد كبار أساتذة اللغة والنحو المعاصرين في العراق، عُرف بكثرة دراساته القرآنيّة البلاغيّة، وتُعد هذه المؤلفات من أبرز ما كتب في عصرنا الحاضر، وآخرها وثمرتها كتابه في التفسير الذي سماه (على طريق التفسير البيانيّ) الذي صدر منه أربعة أجزاء لحد الآن، وهو ثمرة سلسلة من الدراسات البلاغيّة القرآنيّة التي قدمها من قبل أمّا على شكل محاضرات جامعية أو برامج تلفازية طبعت فيما بعد على شكل كتب، وما يهمنا في بحثنا هذا أننا سنعتمد على تفسيره فضلاً عن تفسير عائشة عبد الرحمن بوصفهما يمثّلان أحد طرفي المعادلة في هذا البحث.

منهج التفسير البنائيّ

يقصد بالتفسير البنائيّ ((دراسة النص القرآنيّ الكريم من خلال (السورة) بصفتها (وحدة) لغوية لها بنائها الخاص المتمثّل في نص تترابط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته بعضها مع الآخر))[٢٨]. وهو منهج يقوم على دراسة السورة القرآنيّة الكريمة من حيث بنائها العماري والهندسي وما يحكم هذا البناء من علاقات عضوية تجعل أجزاء النص مرتبطة بعضها بالآخر على وفق سببية محكمة[٢٩].

والمنهج البنائيّ من المناهج التفسيرية الحديثة، وهو تأصيل فكري معاصر يهدف إلى إبراز ملامح نوع جديد من التفسير ابتكره الدكتور (محمود البستاني) الذي وضّح ملامح تفسيره بمنهج تحليلي استدلالي من خلال التعرض إلى بعض الآيات القرآنيّة واستخراج ما فيها من خصائص أدبية ولغوية[٣٠].

وأهم ما يميّز هذا المنهج التفسيري عن غيره أنه يولي (السورة) مكانةً خاصةً بوصفها شكلاً لغوياً تنتظم داخله الآيات ويحتوي على وحدة موضوعية واحدة[٣١]. وهو يختلف عن سواه بكونه يتوفر على دراسة البعدين الجمالي (الأدبيّ) والدلالي (العلميّ)، فدراسته للنص القرآنيّ أكثر سعةً من الدراسات القرآنيّة الأخرى[٣٢].

مسوغات التفسير البنائيّ

يمكن تلخيص مسوغات التفسير البنائيّ أو الحاجة التي تستدعي مثل هذا المنهج فيما يأتي[٣٣]:

يرى الدكتور (البستاني) أنّ الدراسات القرآنيّة الموروثة قد اقتصرت على التفسير الترتيبيّ والتجزيئي، أي دراسة الآيات القرآنيّة الكريمة منعزلةً عن الهي كلّ الهندسيّ العام للسورة، والأمر نفسه بالنسبة إلى غالبية الدراسات الحديثة، عدا بعض الدراسات النادرة منها، إذ إنّها اقتصرت على بعض السور من دون التوفر على السور جميعاً أو دراسة المناخ العام للسورة، وهي تختلف عن دراسة البناء العضوي لها؛ لأنّ المناخ العام للسورة ينحصر في تبيين المحور أو المحاور الفكريّة التي تتناولها السورة، أمّا البناء العضوي فيتناول الصلة العضوية بين المحاور المذكورة، أي الرابطة (السببية) بين عناصر السورة جميعاً، سواء أكانت موضوعاً واحداً ذا موضوعات مختلفة، أم عناصر ثانوية.

وثمة مناهج أخرى كالتفسير الموضوعي الذي يقتصر على المحور الدلالي الخاص بهذا الموضوع أو ذاك من خلال اقتناصه من النصوص القرآنيّة بنحو عام، وهو بدوره يدرس الظاهرة منعزلةً عن استقلالية الهي كلّ العام للسورة القرآنيّة ... وهذا يعني أنّ دراسة البناء العضويّ للسورة تظل غائبةً عن الساحة التفسيرية، وهو ما شكّل مسوغات للمنهج البنائيّ. وبذلك يتبيّن الفرق بين هذا المنهج ومنهجي التفسير التجزيئيّ والموضوعيّ.

وإنَّ القرآن الكريم يضُّم بشكلٍ خاص وحدة لغوية خاصة هي (السورة) وليست عبارات منتشرة هنا وهناك كانتشار الأحاديث مثلاً ومن المؤسف أنّ أغلب المفسّرين غفلوا عن مسألة مهمة وهي سبب انتظام النص القرآنيّ في (السورة)، وإذا

كانوا قد تنبهوا إلى هذه المسألة فإنَّ ذلك منحصرٌ في الإشارة إلى المناخ العام للسورة لا (سببية) ذلك، وهي فجوة يمكن ملاحظتها في الدراسات القرآنيّة، وقد اضطلع المنهج البنائيّ في تلافيها ودراستها.

إذاً ثمة أسرار تكمن وراء انتظام القرآن الكريم في سورٍ مستقلة، ويضطلع المنهج البنائيّ بتوضيحها، فمن الحقائق الواضحة في حقل الإدراك أو الاستجابة حيال المعرفة وتمثّلها أنّ الذهن البشري يُدرك الظواهر من خلال (الكل) وهو أمرٌ قد انتبهت إليه بعض الاتّجاهات النفسية، إذ يستوي في ذلك أن يتم الإدراك لـ (الكل) من خلال (جزئياته) أولاً، ثم الانتقال إليه، أو من خلاله أولاً ثم الانتقال إلى جزئياته، وفي الحالتين ثمة إدراك لا ينفصل (كلّه) عن (جزئه) ولا جزؤه عن كلّه.

وبناءً على ذلك فإنّ النصّ أياً كان نمطه إنما يستهدف (توصيل) أفكاره إلى الآخرين، وحينئذٍ فإنّ عملية (التلقي) أو (الاستجابة) للنصّ لا تحقّق هدفاً إلا من خلال استثارته عقلياً وعاطفياً كافتتاح النص بظاهرةٍ ما أو إجمالها أو تفصيلها أو حذفها أو اختزالها أو التدرج أو التصاعد بها أو توشيحها بعناصر تخيلية أو عاطفية كالصورة أو الرمز أو الإيقاع، أو رفدها بأدوات قصة أو حوارية ... إلخ.

و كلّ أولئك جميعاً يعتمدها النص لتحقيق الإثارة المطلوبة. وفي ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نتبين أهمية الدراسة للنص، فما دام المتلقي يستجيب للنص من خلال (الكل)، حينئذ فإنَّ الانتهاء من السورة الكريمة سوف تفضي بالمتلقي إلى أن يظفر بالحصيلة النهائية التي استهدفتها السورة، أي تترك لديه انطباعاً أو تأملاً، فعندما نتلو سورةً ما عندئذٍ قد نركّز عليها جميعاً أو على بعض مقاطعها دون بعضها الآخر، ولكن مع التركيز الشامل عليها نتحسس دون أن نعي أسرار ذلك أنّ أثراً ما قد يتركه في ذاكرتنا، قد يكون هذا الأثر في زينة الحياة الدنيا مثلاً أو الانبهار بإبداع الله تعالى أو التشجيع على الإنفاق ... إلخ.

وبحسب المحور الذي تحوم عليه السورة أو محاورها المتنوعة، وفي الحالات جميعاً نحس بأثر إجمالي (مركب) من أفكارها الرئيسة والثانوية والعرضية والطارئة، وبهذا يفترق التناول للسورة من خلال عمارتها العامة عن التناول لبعض آياتها أو مقاطعها كما في مناهج التفسير الأخرى[٣٤].

مثال تطبيقي على المنهج البنائيّ

ويذكر الدكتور (البستاني) مثالاً تطبيقياً على منهجه التفسيريّ وذلك بدراسة سورة الكهف دراسة بنائية، إذ يلاحظ أنّ لهذه السورة أثراً كلياً يتركه نصّها من خلال (التضاد)، فالسورة الكريمة تطرح ظاهرة (زينة الحياة الدنيا) عبر جملة آيات، وتتوكأ على العنصر القصصيّ في تجلية الظاهرة المذكورة، إنّها تطرح قصة أهل الكهف بعد أن تمهّد لها بالآية القائلة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف/ ٧)، وتطرح قصة صاحب الجنتين، وتطرح قصة ذي القرنين، في مواقع مختلفة من النص، وتطرح أيضا قصة موسى ﷺ وصاحبه. إن المتلقي وهو ينتهي من قراءة النص سيزدحم في خاطره أكثر من موقفٍ يضاد الآخر، وأكثر من شخص يضاد الآخر.

فأهل الكهف قد انزووا تماماً ونبذو زينة الحياة الدنيا مع أنّهم يحتلون مراكز القوى في السلطة، إلا أنّ صاحب الجنتين تشبث بزينة الحياة الدنيا إلى درجة يشكك بقيام الساعة، وهذا يعني تضاداً بين بطلي القصتين، وهناك تضاد نلاحظه أيضاً من زاوية أخرى بين صاحب الجنتين (المزرعتين) وبين صاحب شرق الأرض وغربها (ذي القرنين)، فمع أنّ الأخير ملك الأرض شرقها وغربها فإنه هتف قائلاً: هذا من رحمة الله تعالى، بينما صاحب الجنتين وهما عديمتا القيّمة قياساً بشرق الأرض وغربها كفر بنعم الله تعالى، وهذا يعني تضاداً بين بطلي القصتين.

ويتساءل البستاني: مإذا يعني مثل هذا التضاد بين أبطال متفاوتين في المركز والأدوار؟ ويجيب عن ذلك بقوله: إن قارئ النصّ سوف تحتفظ ذاكرته بالأثر (الكلي) الذي تتركه هذه القصص المتضادة، بحيث يخلص منها إلى ضرورة نبذ زينة الحياة الدنيا. إذاً تظل القراءة الكلية للنص ذات أثر أشد سعة من القراءة التجزيئية أو الموضوعية[٣٥].

وهذه السمة التي يتصف بها المنهج البنائيّ ليست هي الوحيدة بل إن هناك عناصر وأدوات دلالية ولغوية وشكلية وطرائق صياغتها كلّها تسهم في تعميق الاستجابة المطلوبة التي يستهدفها النص، فهنالك خطوط متنوعة لبناء النص، منها ما يتصل بعلاقات الآيات والمقاطع والموضوعات مع بعضها، ومنها ما يتصل بخطوط العمارة طولياً أو أفقياً أو توازياً، ومنها ما يتصل بالعناصر والأدوات الثانية التي يوظفها النص لإنارة هدفه[٣٦].

وخلاصة القول إن (البستاني) لاحظ أنّ الدراسات التي تناولت القرآن الكريم لم تعطِ نصيباً لدراسات السور القرآنيّة الكريمة بصفتها مجموعة من الآيات ترتبط أحدها مع الأخرى لتكون شكلاً منتظماً وأنّ النبيﷺ حينما أمر كتّاب الوحي بأن يضع هذه الآية أو تلك في السورة الفلانية أو بجانب الآية الفلانية ممّا يدل على أنّ السورة هي هي كلّ أو بناء قد خُطّط له بدقة وإتقان وأنّ لهذا التخطيط فلسفةً فكريةً خاصةً، كلّ هذه الأسباب وغيرها تجعل أهميتها خاصة لدراسة السورة القرآنيّة من حيث كونها عمارةً خاصة ترتبط آياتها وأفكارها وموضوعاتها بعضها مع الآخر، وهذه الأسباب نفسها هي التي دفعت البستاني إلى دراسة القرآن من خلال المنهج البنائيّ[٣٧].

أسلوب البحث في المنهج البنائيّ

إنّ دراسة السور القرآنيّة وتفسيرها عبر المنهج البنائيّ يتم على وفق أسلوبين[٣٨]:

١- الوقوف عند السمات الفكريّة أو الموضوعية التي تربط الآيات بعضها مع الآخر.

٢- الوقوف عند السمات الفنية، أي ملاحظة مجموع السور من حيث بدايتها ووسطها ونهايتها من جانب، ثم علاقة كلّ آية بما سبقها ولحقها (السياق القرآنيّ) من جانب آخر، ثم ملاحظة العناصر القصصية واللفظية والصورية والإيقاعية (الصوتية) وغيرها من العناصر مع ملاحظة هذه العناصر ومدى إسهامها في عملية الربط بين أجزاء السورة، ثم كيفية توظيفها من أجل إنارة الفكرة التي يتضمنها النص.

فالمنهج البنائيّ يعنى بالسمات (الفنية) إلى جانب السمات (الفكريّة) في تفسير النص القرآنيّ، إذ يرى أنّ أحدهما لا يمكن أن ينفصل عن الآخر.

ميزة المنهج البنائيّ عن المنهج البيانيّ

يصرّح البستاني بأنّ منهجه (البنائيّ) في تفسير القرآن الكريم يعنى بالسمات الفنية (القصصية، واللفظية، والصورية، والإيقاعية... وغيرها) إلى جانب السمات الفكريّة، إذ لا ينفصل أحدها عن الآخر، كما يعنى بإبراز (الوحدة العامة) التي تحكم السورة، وهذه الوحدة تختلف بحسب طبيعة كلّ سورة، إذ إنَّ لكلّ سورة شكلّها الخاص من البناء يتناسب مع طبيعة الأفكار التي يستهدفها النص[٣٩].

وهناك زوايا متنوعة تحكم السورة وهي:

١- من حيث الموضوعات والأهداف: فالسورة الكريمة تتخذ أحد الأبنية الآتية من حيث علاقة موضوعاتها بالأفكار المطروحة فيها:

وحدة الفكرة ووحدة الموضوع.

ووحدة الفكرة وتعدّد الموضوع.

ووحدة الموضوع وتعدّد الفكرة.

وتعدّد الفكرة وتعدّد الموضوع.

٢- من حيث الأشكال: تتخذ السورة واحداً من الأبنية الآتية:

البناء الأفقيّ: وهو أن تبدأ السورة بموضوع وتختم بالموضوع ذاته عبر سلسلة من الموضوعات المتنوعة.

البناء الطوليّ: وهو أن تبدأ السورة بموضوع تتدرج في عرضه بحيث يختم الموضوع مع نهاية السورة.

البناء المقطعيّ: وهو أن تطرح السورة جملةً من الموضوعات تنتهي كلّ واحدة منها بآية أو أكثر تتكرّر في المقاطع جميعاً.

٣- من حيث العلاقات: تتخذ السورة واحدةً من العلاقات الآتية:

السببية: ويقصد بها أنّ الموضوعات في السورة يترتب أحدها على الآخر نحو (السببية) بحيث يكون الموضوع (سبباً) للاحقه (مسبباً) عن سابقه.

النمو: ويقصد به أنّ الموضوع ينتقل أو يتحوّل أو يتطوّر من مرحلةٍ إلى أخرى كما يتنامى النبات ويقطع مراحل متنوعة حتى يصل إلى نهاية نموه.

التجانس: ويقصد به مجانسة كلّ عنصر من عناصر النص مع الآخر، أي مجانسة الموضوعات مع الأفكار بالنسبة إلى الأدوات الفنية المستخدمة، كعنصر القصة والصورة والإيقاع ... إلخ.

هذه المستويات من الوحدة التي تنتظم عمارة السورة الكريمة، حاول البستاني أن يقف عندها مفصّلاً حسبما تقتضيه السورة ذاتها، حيث أنّ كلّ سورة تتخذ لها شكلاً

خاصاً من العمارة التي تتناسب خطوطها مع طبيعة الأفكار التي يستهدفها النص.

من تفسير سورة «الضحى»

قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إذا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

في هذا القسم من البحث نعقد مقارنةً بين منهجي التفسير البيانيّ والبنائيّ عبر اختيار مثالٍ تطبيقي لشيء من تفسير سورة الضحى إذ إنّ تفسير هذه السورة ورد في تفاسير المنهجين.

وسورة الضحى هي سورة مكية بلا خلاف ويجمع المفسّرون الثلاثة على أنّ سبب النزول لهذه السورة هو إبطاء الوحي واحتباسه عن الرسولﷺوهو في مكة حتى شقّ ذلك عليه، وقيل فيما قيل: ودَّع محمداً ربُه وقلاه، فجاء الجواب في هذه السورة بأنّ الله تعالى ما ودَّع محمداًﷺوما قلاه[٤٠].

وتستهل السورة بالقسم بالوأو ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إذا سَجَى﴾ وهذا القسم القرآنيّ يدلُّ على التعظيم للمقسم به وهذا هو الرأي السائد عند الأقدمين[٤١].

أمّا (عائشة عبد الرحمن) فترى أنّ هذا القَسَم يمكن أن يكون قد خرج عن أصل الوضع اللغويّ الذي يدلُّ على التعظيم إلى معنى بياني على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وُضعت له إلى أغراضٍ بلاغيّةٍ. فالوأو في هذا الأسلوب تلفت لفتاً قوياً إلى أشياء حسية مدركة وليست غريبة، فهي توطئة إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تُدرك بالحس. والقسم بالوأو في قوله تعالى: (والضحى) هو أسلوب بلاغيّ لبيان المعاني بالمدركات الحسية، وثَمَّ تناسب بين المقسم به (الضحى) والموقف، فهذا القسم بالصورة المادية المدركة والمشهورة هي توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة غير مشهودة لا مدركة، فالمقسم به في سورة الضحى في الآيتين الأولى والثانية (الضحى والليل) هي صورة مادية وواقع

حسّي يشهد به الناس في كلّ يوم تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجى وسكن دون أن يختل نظام الكون، فهذه الصورة البيانيّة المناسبة للموقف وسبب النزول الذي أشرنا إليه، فبعد أنس الوحي وتجلي نوره على المصطفىﷺ جاءت فترة سكون فتَرَ فيها الوحي، صوّرها القرآن بمشهدٍ بياني متمثّلاً بصورة الضحى المتألّق الذي يتبعه الليل الساجي[٤٢]. وهذا شيء من تدبّر النص القرآنّي بذائقةٍ فنية لم يسبق إليها أحد من المفسّرين كما تقول (بنت الشاطئ).

ويرى (السامرائي) أنّ القسم بالضحى وبالليل إذا سجى لهما دلالة خاصة، فإنَّ الضحى يمثل نور الوحي واشراقته وأنّ الليل إذا سجى يمثّل انقطاعه وسكونه، فالدنيا من غير نور النبوة وإشراقة الوحي ليل مظلم وظلام مطبق، لذلك قدّم الضحى وهو ما سبق من نور الوحي على الليل إذا سجى وهو مدة انقطاع الوحي وسكونه، فقال تعالى (إذا سجى) ولم يقل (إذا يغشى) أو (إذا يسرِ) كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر/ ٤)؛ وذلك لأنّ لفظة (سجى) تدلُّ على السكون والركود وهو إشارة إلى سكون الوحي وركوده وانقطاعه في حين أنّ (يغشى) أو (يسرِ) ونحوهما تدل على الحركة فكان ما ذكره هنا أنسب[٤٣].

فمن يقرأ قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إذا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ يلحظ ((الربط القرآنيّ بين ظواهر الكون ومشاعر النفس إذ أنّ السورة ابتدأت مقسمة بأصفى اثنين وهما: الضحى الرائق والليل الساجي، فتتراسل مشاعر النفس بأحاسيس الطبيعة فيغمر اليقين والطمأنينة نفس الرسول الكريمﷺ...))[٤٤].

وقد وقفت بنت الشاطئ عند تفسير المفردات البارزة في السورة منها: (الضحى) و(الليل) وعرضت لآراء المفسّرين القدماء حولهما، مقارنة بين أقوالهم في دلالة كلّ

منهما في الاستعمال القرآنيّ، وهي ظاهرة عني بها المنهج البيانيّ[٤٥]، خلافاً للمنهج البنائيّ الذي اتجه من التجزئة إلى النص.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى/ ٣)، تشير (عائشة عبد الرحمن) إلى قراءة الجمهور في لفظة (ودَّعك)، وأنّ هناك مَنْ يقرؤها بالتخفيف (ما ودَعك) مستعينة بأقوال العرب ومستشهدة بالشعر العربيّ والمعاجم اللغويّة[٤٦]، وتبين معنى هذه المفردة (الودْع) إذ تعني الترك، وقد استُعملت حسياً في الوديعة التي تُترك في مكان أو لدى شخص مؤتمنٍ عليها، وهي لم تأتِ في القرآن بصيغة الفعل الماضي إلا في هذه الآية من سورة الضحى، أمّا مفردة (قلى) فتعني البغض، وتستغرق المفسّرة في ذكر الدلالات اللغويّة لهذه المفردة عبر الاستعانة بالمعاجم اللغويّة، وتذكر بأنها وردت مرتين في القرآن الكريم، في آية سورة الضحى، وفي آية أخرى من سورة الشعراء وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ (الشعراء/ ١٦٧-١٦٨)، ودلالاتها واضحة على شدة البغض والكراهية الشديدة والنفور[٤٧].

وتقف المفسّرة عند ظاهرة نحوية، وهي ظاهرة الحذف في مفردة (قلى) إذ أنّ المفعول محذوف وهو كاف الخطاب، وتقدير الكلام (وما قلاك)، فتذكر آراء المفسّرين فيها، وقد عللها السامرائي بقوله: ((فقد أقسم ربنا أنه لم يودع سيدنا محمداً ولم يبغضه، وقد ذكر مفعول التوديع وحذف مفعول البغض فقال ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ولم يقل (وما قلاك) لأكثر من سبب، فقد قيل إن حذف الكاف الثانية اكتفاء بالكاف الأولى في ﴿ودعك﴾ فقد علم أنه ضمير المخاطب وهو الرسول ﷺ، ولأن رؤوس الآيات تقتضي ذاك فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف))[٤٨].

وهكذا يستمر المنهج البيانيّ في تحليل المفردات القرآنيّة ويتابع الصور البلاغيّة

والبيانيّة والأسلوبية، أمّا المنهج البنائيّ فقد اكتفى بملاحظة النص العام لسورة الضحى وبرهن على مدى ترابطها من خلال استعراضها لفترات زمنية مختلفة من الماضي إلى الحاضر وصولاً إلى المستقبل الذي جاء تسلية لرسول الله ﷺ، كما و ربط من حيث البناء الفكريّ بين هذه السورة وسورة الشرح التالية لها.

فيرى (البستاني) أنّ سورة الضحى وسورة الانشراح تُعدان سورةً واحدةً بالنسبة إلى قرأتهما في الصلاة، وبناءً على ذلك يفسّرهما بتفسير واحد، كما يُعدّهما خاضعتين لبناءٍ فني واحد، أي أنّهما سورة واحدة من حيث خضوعهما إلى خطوط مترابطة عضوياً، ويستدل على ذلك بأنّ السورتين تتحاوران مع النبي محمد ﷺ ومخاطبته، وحتى القسم إنما جاء جزءاً من مخاطبة النبي محمد ﷺ، تحسساً بأهمية المخاطبة كما هو واضح، فثمة وحدة موضوعية تربط بين السورتين[٤٩].

ومن وجهة نظر المنهج البنائيّ فإن ((عضوية البناء للنص تأخذ في أحد أشكالها أمّا موقفاً أو شخصية أو بيئة أو حدثاً لتجعل منه خيطاً مشتركاً، وهنا جاءت شخصية النبي ﷺ ومخاطبته هي الخيط المشترك))[٥٠]، ولا تنحصر عضوية النص في وحدة الشخصية أو الموقف أو الحدث أو البيئة بل تتجاوزها إلى تلاحم الأجزاء التي تنتظم الشخصية أو الموقف، إذ يخضع هذا الترابط أو التلاحم إلى أشكال بنيانية مختلفة مثل النمو العضوي، أي انطلاق المفهومات من نقطةٍ محددة وتطويرها إلى نقطة نهائية أو مفتوحة كما هو الحال في نمو الإنسان وقطعه المراحل المتنوعة من العمر، ومن أشكال البناء العضوي تجانس المفهومات المطروحة ومماثلة بعضها للآخر، ومن أشكال البناء عنصر السببية التي تعني أنّ كلّ جزء يظلُّ مسبباً عن سابقه وسبباً للاحقه، ومن أشكال البناء أيضاً تآزر عناصر النص كالعنصر الإيقاعيّ والصوريّ واللفظي وغيرها، فإنّ هاتين السورتين قد خضعتا إلى جملة من أشكال

البناء الهندسيّ، وفي مقدمة ذلك: خضوعهما لوحدة الشخصية، ثم خضوعهما للتسلسل الزمني والتسلسل النفسي المرتبط بحياة النبي محمدﷺ[٥١].

ولم يتوسّع (البستاني) في تحليل العناصر الفنية البلاغيّة التي وردت في السورة كالإيقاع والصورة وغيرها كما فعل في تفسير بعض السور، وكما هو الحال في تحليله للنصوص الشرعية الأخرى في دراساته النقدية المعروفة، إلا أنّه اكتفى بتحليل الدلالات البنائيّة للسورة، فيرى أنّ النص بعد أنّ بدأ بظاهرة احتباس الوحي، ونفي الوداع والقلي عن النبيﷺاستثمر هذا الجانب ليشير إلى حقيقة عبادية (وعظية) ملخصها (أنّ الآخرة خيرٌ من الدنيا)، ومن جانب آخر طرح النص ظاهرةً فكريةً عبَر بها الزمن إلى المستقبل ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ثم ارتدّ بالزمن إلى الماضي رابطاً بين المستقبل والحاضر والماضي، ومذكّراً النبيﷺبمرحلة اليتم وما بعدها، ثم استثمر الحديث عن ظاهرة اليتم، وقضية الإنفاق والتعامل الحسن مع الضعيفين اليتيم والسائل، ليذكّر بنعم الله تعالى التي ينبغي أن يظهرها البشر[٥٢].

خاتمة البحث

وفي الختام فإنّ هذا البحث درس الدلالة القرآنيّة التي تشمل كلاً من تفسير اللفظة والعبارة والآية والسورة وبيان معانيها في ضوء المقارنة بين المنهج البيانيّ والمنهج البنائيّ اللذين ينتميان إلى اتجاه تفسيري واحد من اتجاهات التفسير وهو الاتجاه الأدبيّ الذي يعنى بالجانب البلاغيّ والفنيّ من النص القرآنيّ ويوليه أهمية بالغة ولكن باختلاف الأسلوب، فالمنهج البيانيّ يركز على البحث في المفردات القرآنيّة ودلالاتها وذكر آراء اللغويّين والمفسّرين فيها، ويلاحظ الأساليب البلاغيّة والصور البيانيّة المتوفرة في النص المُفَسَّر بشكل تجزيئي، أمّا المنهج البنائيّ فهو الآخر يلاحظ الصور الفنية ويهتم بإبراز التعابير البلاغيّة إلا أنه ينظر إلى السورة القرآنيّة بنظرة شمولية على أنها وحدة فنية متكاملة أو لوحة فنية واحدة تشترك في تشكيلها ألوان مختلفة لتظهر بأجمل منظر، وفي القسم الثاني تبيّنت نقاط الالتقاء والافتراق بين المنهجين من خلال أنموذج تفسيري لسورة الضحى التي يشترك المنهجان في تفسيرها، وبذلك يكون هذا البحث قد خرج بدراسة مقارنة بين منهجين من مناهج التفسير، وهذه المقارنة تكشف لنا نقاط الالتقاء ونقاط الافتراق بين المنهجين.

والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

١) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ومجموعة من المؤلفين، مادة (دل): ١/ ٢٩٤.
٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٣٩.
٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (دل): ١٧٧.
٤) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ١١.
٥) ينظر: الألسنية، د. نسيم عون: ٩٥.
٦) ينظر: أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، مادة (نهج): ٧٨٠، والمعجم الوسيط، مادة (نهج): ٢ / ٩٥٧.
٧) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (فَسَر): ٢ / ٦٨٨.
٨) المصدر نفسه، مادة (فَسَر): ٢ / ٦٨٨.
٩) دروس في التفاسير ومناهج المفسّرين، فارس علي العامر: ١٨.
١٠) على طريق التفسير البيانّي، د. فاضل صالح السامرائي: ١/ ٧.
١١) التدبّر الموضوعي في القرآن الكريم، الشيخ علي آل موسى: ٩٧.
١٢) المناهج التفسيرية، العلامة المحقق جعفر السبحاني: ١٤٦.
١٣) ينظر: على طريق التفسير البيانّي: ١/ ٧.
١٤)التفسير البيانّي للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن: ١/ ١٧-١٨.
١٥) ينظر: على طريق التفسير البيانّي: ١/ ٧-١٤.
١٦) البرهان في علوم القرآن، الزكشي: ٢/ ١٦٥.
١٧) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢/ ١٨٠-١٨٢.
١٨) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٥٢.
١٩) بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي: ١٣٤.
٢٠) على طريق التفسير البيانّي: ١/ ١٣.
٢١) ينظر: أساسيات المنهج والخطاب في القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي:٩٢.
٢٢) ينظر: مشاعل في العتمة، حسن سعيد: ٢٩٨.
٢٣) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٣٤٢.
٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٣.
٢٥) ينظر: التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين: ١٣٤-١٣٥.
٢٦) الإعجاز البيانّي للقرآن، الدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١١-١٢.
٢٧) ينظر: التعبير الفني في القرآن الكريم: ١٣٥.

٢٨)التفسير البنائيّ للقرآن الكريم، (بحث) د. محمود البستاني، مجلة المصباح: ع١، ص١٥١.
٢٩) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د. محمود البستاني:١٢٦.
٣٠) ينظر: أسئلة وأجوبة قرآنية، لجنة التأليف وإعداد المناهج في دائرة الشؤن القرآنيّة مؤسسة البلاغ: ٦٨.
٣١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠.
٣٢) ينظر: الفهم المتجدد لآيات القرآن المجيد في ضوء منهج التفسير البنائيّ، حوار مع الدكتور محمود البستاني (انترنت) موقع: الجامعة الإسلاميّة لعلوم أهل البيتhttp://u-of-islam.net .
٣٣) ينظر: المصدر نفسه.
٣٤) ينظر: التفسير البنائيّ للقرآن الكريم (بحث): ١٥٣-١٥٤.
٣٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٦-١٥٧.
٣٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٧.
٣٧) ينظر: التفسير البنائيّ للقرآن الكريم، د. محمود البستاني: ١/ ٧-٨.
٣٨) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٨ .
٣٩) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٨-١٠.
٤٠) ينظر: التفسير البيانّي: ٢٣، على طريق التفسير البيانّي: ١/ ١٠٩، والتفسير البنائيّ: ٥/ ٣٦١.
٤١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية: ١.
٤٢) ينظر: التفسير البيانّي: ٢٤-٢٦.
٤٣) ينظر: على طريق التفسير البيانّي: ١/ ١١٠-١١١.
٤٤) خطرات في اللغة القرآنيّة، د. فاخر الياسري: ٢٠٦.
٤٥) ينظر: التفسير البيانّي: ١/ ٢٨-٣٢.
٤٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٢-٣٣.
٤٧) ينظر: التفسير البيانّي: ٣٣-٣٤، وعلى طريق التفسير البيانّي: ١/ ١١٢، و المفردات في غريب القرآن (قلى): ٤١٢-٤١٣.
٤٨) على طريق التفسير البيانّي: ١/ ١١٢.
٤٩) ينظر: التفسير البنائيّ للقرآن الكريم: ٥/ ٣٦٠-٣٦١.
٥٠) المصدر نفسه: ٥/ ٣٦٠.
٥١)ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٠-٣٦١.
٥٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ٣٦١.

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

١.السيوطي، جلال الدين. ١٩٩٦م.الإتقان في علوم القرآن. دار الفكر. ط/ ١.

٢.الزمخشري، جار الله. ١٩٦٠م .أساس البلاغة، . القاهرة: دار ومطابع الشعب .

٣.مصطفوي، محمد. ٢٠٠٩م .أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره . بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ. ط/ ١.

٤.أسئلة وأجوبة قرآنية. لجنة التأليف وإعداد المناهج في دائرة الشؤن القرآنيّة مؤسسة البلاغ.

٥.عبد الرحمن، الدكتورة عائشة. ١٩٨٤م .الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق. القاهرة: دار المعارف. ط ٣.

٦.عون، د. نسيم. ٢٠٠٥ م .الألسنية : محاضرات في علم الدلالة . بيروت: دار الفارابي. ط/ ١.

٧.رجبي، محمود. ٢٠١٠م .بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم. مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ. ط/ ١.

٨.الزركشي . ١٩٥٧م .البرهان في علوم القرآن. دار إحياء الكتب العربيّة. ط/ ١.

٩.الجوزية، ابن قيم. (د.ت).التبيان في أقسام القرآن . دار الفكر.

١٠.التدبّر الموضوعي في القرآن الكريم. ٢٠٠٩م. دار المحجة البيضاء.

١١.أمينا د. بكري شيخ. ٢٠٠٤م .لتعبير الفني في القرآن الكريم. دار العلم للملايين. ط/ ٧.

١٢.الحنفي، السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني. ١٤٠٧ هـ.التعريفات تح: د. عبد الرحمن عميرة. بيروت :عالم الكتب . ط/ ١ .

١٣. البستاني، د. محمود. ٢٠١٠م .التفسير البنائيّ للقرآن الكريم . كربلاء: مجلة المصباح العتبة الحسينية المقدسة.ط ١ .

١٤.البستاني، د. محمود. التفسير البنائيّ للقرآن الكريم. مجمع البحوث الإسلاميّة . مشهد: مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة. ط/ ١.

١٥.عبد الرحمن، د. عائشة. ١٩٧٧م .التفسير البيانيّ للقرآن الكريم . القاهرة: دار المعارف . ط/ ٧ .

١٦.الياسري، أ.د. فاخر . (د.ت).خطرات في اللغة القرآنيّة. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

١٧.البستاني، د. محمود. ١٤٢٧هـ. دراسات في علوم القرآن الكريم. قم : مدينة العلم مطبعة البقيع. ط/ ١.

١٨.العامر، فارس علي . ١٤٢٨هـ . دروس في التفاسير ومناهج المفسّرين . طهران :الغدير للطباعة والنشر والتوزيع. ط/ ١ .

١٩.عمر، أحمد مختار. ١٤٠٢هـ .علم الدلالة. الكويت : مكتبة دار العروبة. ط/ ١.

٢٠.السامرائي، د. فاضل صالح. ٢٠٠٢م.

على طريق التفسير البيانيّ. الإمارات : جامعة الشارقة. ط/ ١ .
٢١.الجامعة الإسلاميّة لعلوم أهل البيت ﷺ . « الفهم المتجدد لآيات القرآن المجيد في ضوء منهج التفسير البنائيّ. حوار مع الدكتور محمود البستاني» (انترنت) موقع: http://u-of-islam.net
٢٢.القطان، مناع. (د.ت).مباحث في علوم القرآن. القاهرة : مكتبة وهبة. ط/ ١ .
٢٣.السعيد، حسن. ٢٠٠٩م . مشاعل في العتمة : إضاءات عن روّاد الوعي الإسلاميّ الحديث. دار المنتدى.
٢٤.مصطفى، إبراهيم. وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار. ١٤١٨هـ .المعجم الوسيط مجمع اللغة العربيّة الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. دار الدعوة . ط/ ٢ .
٢٥.المفردات في غريب القرآن تح: محمد خليل عيتاني. ١٤٢٨هـ. بيروت :دار المعرفة. ط/ ٥ .
٢٦.الأصفهاني، الراغب. ١٤٢٦هـ .المناهج التفسيرية في علوم القرآن : العلامة المحقق جعفر السبحاني. قم : مؤسسة الإمام الصادق ﷺ.ط/ ٣.
٢٧.ابن الجزري . (د.ت).النشر في القراءات العشر. بيروت : دار الكتب العلمية.